المجاهد مولاي إبراهيم الرائد عبد الوهاب حياته ومسيرته النضالية

أ. عتيقة مصطفى*

مقدمة: لقد ظلت العديد من الشخصيات التاريخية الفاعلة في تاريخ الثورة الجزائرية مغمورة لم تلق كفايتها من الدراسة، لذا كان من الواجب إبراز الملامح الذاتية والتاريخية لكثير من هذه الشخصيات واستنطاق ذاكرتها التاريخية حتى لا تبقى حبيسة الأفراد والجماعات أو موزعة في دور الأرشيف المحلية، ذلك أن دراسة الأحداث التاريخية لا تكتمل إلا باستحضار شروطها المادية والمعنوية، كما أن دراسة الشخصية التاريخية تؤدي بنا حتما إلى فهم وتبرير قسم كبير من التاريخ. لذا كان استعمال البيوغرافية كمنهج في الكتابة التاريخية ضروريا من أجل الكشف عن مسيرة شخصية تاريخية وإبراز معالمها الأساسية، والمساهمة في استعراض فضائلها وحتى أخطائها من أجل فهم وتقييم دورها في بناء الظاهرة التاريخية.

يعتبر المجاهد مولاي إبراهيم واحد من هذه الشخصيات التاريخية التي من المفروض توسيع دائرة الاهتمام بها من أجل فهم الكثير من تفاصيل العمل العسكري في منطقة البيض خلال الثورة التحريرية. وقبل الحديث عن شخصية المجاهد عبد الوهاب لابد من الإشارة إلى بعض خصوصيات الوسط الطبيعي الذي ينتمي إليه، ذلك أنه للمناخ والسطح تأثير على حياة الشعوب كما ذكر مونتسكيو في كتابه"روح القوانين"، فدراسة التاريخ لا يتم إلا ضمن عناصره الجغرافية والطبيعية وحتى البشرية.

تنتمي البيض إلى الهضاب العليا الغربية الجزائرية، ارتفعت بنيتها التضاريسية في نهاية العصر الجيولوجي الثالث مكونة" السهوب" التي تتميز بتقطيع سطحها، تتخللها المنخفضات والتحدبات، تتكون بها الشطوط والسبخات، كما أنها تتميز بالجفاف إذ يتراوح متوسط الأمطار السنوي ما بين 250-350 ملم، ويبلغ المدى السنوي لتغيرات درجة الحرارة حوالي 20 درجة مئوية.

*- طالبة في طور الدكتوراه، وأستاذة مستخلفة في التاريخ الحديث والمعاصر- قسم التاريخ- جامعة وهران.

من الناحية البشرية يتنوع سكان البيض بين الرحل المشكلين من قبائل حميان، الرزاينة، أولاد زياد وأولاد سيدي الشيخ، أما المستقرين فيتواجدون بقصور البيض، قصر استيتن، قصر الغاسول، قصر بوقطب وعين الصفراء، إضافة إلى قصر عسلة وتيوت. وقد عرفت المنطقة أيضا توافد القبائل العربية خلال القرن التاسع الميلادي حين حطمت الفتوحات الإسلامية أسوار قرية "استيتن"، ولقد كان أول اسم أطلق على مدينة البيض"ligny-ville" نسبة إلى الكولنيل ليني- مدير شؤون العرب بمنطقة البيض- بتاريخ 25- نوفمبر- 1853. وفي شهر ديسمبر من نفس السنة راسل الضابط سان كريتان"Saint certain" الجنرال بليسيه "Pélissier" يخبره أنه قرر تسمية المدينة باسم الكولنيل جيري"Gerry"، وتحولت التسمية إلى "Gerry ville" نسبة له وهو الذي أنشأ بها أول مركز عسكري سنة 1852.

وأمام التواجد الاستعماري الفرنسي المتواصل في المنطقة شهدت هذه الأخيرة حالة من الرفض تجسد في شكل انتفاضات شعبية كان أهمها ثورة "أولاد سيدي الشيخ"، غير أن العمليات العسكرية تراجعت في المنطقة خلال المرحلة التي تلت ثورة بوعمامة بسبب تدعيم الحكم العسكري خاصة بعد اعتبار الجنوب الجزائري مناطق عسكرية منفصلة عن الجزائر. وبعد انطلاق الثورة المسلحة كانت البيض من المناطق التي احتضنتها بصفة تلقائية اعتمادا على إمكانياتها الذاتية البشرية والمادية.

وتعتبر شخصية المجاهد مولاي ابراهيم الذي اشتهر بالرائد عبد الوهاب من الشخصيات التاريخية التي سمحت لنا دراستها بتفسير جانب كبير من تاريخ المنطقة الثالثة والتي شملت البيض وأفلو بنواحيها المختلفة منذ سنة 1958 وكانت تشمل: (بوسمغون، الشلالة، الأبيض سيدي الشيخ، عين العراك، الغاسول، بريزينة،استيتن، بوعلام، الكاف الأحمر...)، حيث أن الامتداد الجغرافي لهذه المنطقة وموقعها الاستراتيجي مكنها من أداء دور لوجستيكي وعسكري خلال الثورة التحريرية باعتبارها همزة وصل ونقطة عبور. كما أن الوقوف عند التجربة النضالية لهذا المجاهد كان ضروريا في ظل ندرة الكتابات الأكاديمية حول تاريخ المنطقة الثالثة- وهي إحدى الولايات الخامسة- باستثناء ما كتب من طرف بعض الباحثين الغير متخصصين.

*مولده ونشأته: ولد مولاي إبراهيم في 12- مارس- 1925 بمنطقة عين لعراك من قبيلة أولاد سيدي الحاج بن عامر وهي إحدى القبائل العربية الوافدة، إذ انتقل عامر إلى تلمسان عند الولي الصالح محمد بن يوسف السنوسي فزوجه ابنته الشريفة فاطمة والتي اشترك معها

بولدين هما الحاج وإبراهيم، وبعد وفاة زوجته انتقل إلى بلاد بني يعقوب بالقرب من الجعافرة بصحبة أولاده ثم افترق عنهم، فأما سيدي الحاج بن عامر انتقل إلى الصحراء بالقرب من جبل "عمور" أما سيدي ابراهيم بن عامر استقر بالقرب من ملوية بالمغرب.[1]

لقد كانت هذه القبيلة تابعة لمقاطعة أفلو قبل سنة 1911 لتصبح بقرار حكومي صادر بتاريخ 7 مارس 1911م جزءا من قصر المشرية الصغيرة[2]، ولقد أمدت هذه القبيلة الثورة بعدد كبير من المجاهدين والشهداء أمثال يوسفي بوشريط، مولاي محمد، نور البشير وغيرهم. ولد والده محمد بن عودة بمنطقة غليزان وحين مجيئه إلى البيض مارس الفلاحة وأشرف على تسجيل المواليد بقبيلة أولاد سيدي الحاج بن عامر، أما ابراهيم نشأ بين إخوته الأشقاء من أمه الحشمية بنت العربي وكذلك إخوته من زوجة أبيه حكوم مسعودة، حيث التحق أغلب إخوته بالثورة وكان أكبرهم الوزاني الذي عان التعذيب حين سجن سنة 1956، والحسين الذي استشهد سنة 1960م وسنه لا يتجاوز 22 سنة، إضافة إلى محمود، محمد بالهاشمي وبوعمامة الذين التحقوا بالثورة بمنطقة البيض.

ترعرع إبراهيم وسط أسرة متواضعة متمسكة بالتقاليد العربية، امتهن منذ صغره رعي الغنم والفلاحة وكان عند تراجع المحصول يسافر شتاء إلى أدرار لجلب التمور وصيفا إلى تيارت لجلب القمح، ولقد واكب عن كثب معاناة محيطه واكتشف ظلم الاستعمار الفرنسي مبكرا حيث لم يسلم ملحق البيض آنذاك من القوانين الاستعمارية الجائرة، وقد شمل قانون "سناتوس كونسيلت" قبائل أربوات، الغاسول، أولاد مومن والقراريج،كما تعرضت البيض للاستتراف من خلال الشركات الاحتكارية والتي عرفت بالشركات الأهلية.

لقد تأثر إبراهيم منذ الصغر بأسرته المجاهدة الرافضة للاستعمار والتي أطلق عليها "صبة العصاة"، وخاصة أن جده مولاي محمد سبق وأن شارك في ثورة "بوعمامة"، وسجن والده مرات عديدة بسبب رفضه للاستعمار وسياسة القياد.

منذ صغره اكتفى إبراهيم بتعلم مبادئ الكتابة والقراءة وحفظ القرآن الكريم على يد عمه مولاي محمد في مرحلة شهدت فيها المنطقة مجموعة من المشايخ الذين دأبوا على تعليم القرآن الكريم والسنة أمثال محمد بن عبد الجبار، والشيخ التارشي عبد القادر المدعو"الأبيض". فحين لم يكن التعليم الفرنسي متاحا للأهالي الجزائريين رغم أن التقارير الفرنسية تدعي غير ذلك، وقد نشطت من المدارس العامة واحدة فقط بسبعة أقسام بالبيض، وقليل هم الذين

أتيحت لهم فرصة التعليم بمدارس البيض أمثال باقي بوعلام الذي انتقل إلى تلمسان سنة 1937 لاستكمال دراسته،كما أتيحت لمول الخلوة بوعلام نفس الفرصة، فحين تمكن زيدوري عبد القادر من الانتقال لجامع الزيتونة ثم جامع الأزهر إذ تخرج منه سنة 1953.

في حدود سنة 1940 رفض ابراهيم التجنيد في صفوف الجيش الفرنسي فحين جند الكثير من أبناء البيض أمثال ديداني أحمد المدعو "الأزرق" ونور البشير وبلمعطي عبد القادر المدعو "التيارتي"، إذ فضل إبراهيم الالتحاق بمنطقة بشار من أجل العمل بالسكة الحديدية رغم رفض والديه، وهناك اطلع على تجربة التجمعات العمالية الناشطة في مجال استخراج البترول، ليعود سنة 1941 إلى البيض ويبقى مع إخوته في منطقة الصبيحي البعيدة عن البيض بحوالي 30 كلم، حيث ظل مكلفا بشؤون الفلاحة والتجارة، علما أن مناصب العمل احتكرها الأوربيون والذين بلغ عددهم في البلدية المختلطة "البيض" حوالي "784"، وقد ساعد ذلك على نشأة بورجوازية صغيرة تخدم الرأسمال الاستعماري.

ومن المواقف التي كان لها دور في استجلاء حسه الوطني سنة 1947 ذلك أنه حين تخاصم اثنان من عائلة الطيبي على أرض وبعض الأشجار وبلغ ذلك الحاكم الإداري للبيض يدعى شارل كلانكناش فخرج لمعرفة ما يجري... وكان على ابراهيم أن يستقبله مع الفرس التي تنقله للمكان المذكور، وكان أحد المتخاصمين عسكري سابق في الجيش الفرنسي، وبعد أن سار مع الحاكم مسافة بالقرب من شجرة صفصاف سأله الحاكم: لمن هذه الشجرة؟ فأجاب لي يا سيدي الحاكم؟، وهنا رد عليه هي ملك فرنسا ودفعه دفعا، هذا الموقف فاجأ ابراهيم وجعله يتساءل في قرارة نفسه: ألا يملك العربي المسلم في هذه الديار حتى صفصافة؟.[3]

*نشاطه السياسي: لقد تأخر نشاط الحركة الوطنية بالبيض بسبب الثورات الشعبية وما صاحبها من عمليات الإبادة الجماعية إضافة إلى ضعف النخبة المثقفة بسبب السياسة التعليمية الفرنسية غير أن منطقة البيض لم تكن منفصلة عن التطورات التي عرفتها الحركة الوطنية في الجزائر خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، وقد تفاعل الشاب ابراهيم مع إرهاصات النشاط السياسي الذي نهضت به الاحزاب الإصلاحية والثورية على حد سواء، وغذته الكشافة الاسلامية بعد إنشاء فوج مستقل عن الكشافة الكاثوليكية بالمنطقة بمبادرة من أبي عمران الشيخ وباقي بوعلام والذي كان له الفضل أيضا في تأسيس أول خلية قيادية لحزب الشعب الجزائري في نوفمبر 1945 بمساعدة بن صادق بلقاسم و مناد عبد السلام وأحمد حسني[4]، أما

إبراهيم فقد تأخر انضمامه لحزب الشعب الجزائري حتى سنة **1947** ليصبح مناضلا بسيطا في خلية مسؤولها ابن عمه مولاي محمد وبن ديدة الشيخ وحسني أحمد، ليقترب أكثر من الوطنيين الذين شرعوا في جمع الأسلحة تحضيرا للثورة، وقد عبر عن ذلك سنة **1946** بدفعه **"100"** سنتيما للشيخ بن ديدة من أجل تأمين السلاح.

كما شارك إبراهيم في حملة انتخاب أول مجلس جزائري بموجب القانون الخاص الصادر في **20** سبتمبر **1947**م حيث أبلى بلاء حسنا رفقة زميله عبد الباقي طيبي في هذه الانتخابات التي جرت في أفريل **1948**م، وخلال الحملة الانتخابية كان باقي بوعلام يترل سرا إلى أدرار وتيمون بصفته مرشح حركة الانتصار من أجل الحريات الديمقراطية، حيث رشحت فرنسا بوبكر حمزة، فحين رشح الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري الباشاغا خلادي بن ميلود، وبسبب تزوير نتائج الانتخابات والأحكام الجائرة التي فرضت على مناضلي الحركة الوطنية أقسم مولاي ابراهيم أن لا يعود للنضال حتى يتم إعلان الثورة على فرنسا، رغم أنه سيشارك في الاجتماع الذي سينعقد بتندوف يوم **22** أفريل **1948**م من أجل تقييم الوضع بعد تزوير الانتخابات بحضور مناضلين نذكر منهم منصور بن الشيخ ومحمد بن عاشور.

وفيما يخص انضمام إبراهيم إلى "المنظمة الخاصة"، فيذكر أنه التحق بها سنة **1952** حيث أنه بسبب بعد المنطقة وعزلتها ظلت بعيدة عن الاضطرابات التي عرفتها المنظمة- حلها سنة **1950**- حيث كان ينشط رفقة ابن عمه مولاي محمد ومحمد حميتو ومحمد عتيق المدعو "الكردان"، كما سمح له التدرج في النضال التعرف على أقطاب الحركة الوطنية أمثال حسين لحول، في نفس الفترة شرع ابراهيم في تجنيد مجموعة مشكلة من **"30"** جنديا وتجهيزهم بالأسلحة والعتاد، وبعد زيارة بن عبد المالك رمضان لمنطقة البيض بأوراق مزورة جعل مولاي محمد على رأس التنظيم السري في مارس **1953**، وقد استدعى هذا الأخير بدوره المناضل ابراهيم من أجل تشكيل القيادة الأولى للمنظمة الخاصة وكانت تضم مولاي ابراهيم، يوسفي بوشريط، محبوبي عامر وطيب عبد العالي ليتم تشكيل خلايا جديدة كان أهمها خلية البيض، خلية الأبيض سيدي الشيخ، خلية أربوات، خلية بريزينة، خلية بوقطب وخلية البادية وكان على رأسها مولاي إبراهيم.

*نشاطه العسكري في القسم **15** ثم في الناحية الثالثة: لقد شكلت كل من البيض والأبيض سيدي الشيخ القسم **"15"**[5]، ويبدو أن المجاهد مولاي ابراهيم اكتفى حينها وزملاؤه

بتأمين السلاح إلى غاية صائفة 1955 أين انعقد اجتماع بحضور المجاهد ومجموعة من المجاهدين أين طلب مولاي محمد من الجماعة الالتحاق بالجبل، وقد بلغ عدد الملتحقين حوالي "20" مجاهدا بقيادة بوشريط كانوا من المناضلين في الخلايا السرية، وبعد انعقاد اجتماع "الحجرة الطايحة" قام مولاي إبراهيم وبوشريط بالقضاء على مولاي العربي في ليلة العاشر من نوفمبر 1955 بتهمة الخيانة، بعد هذه العملية ألقي القبض على عدد من أفراد أسرة إبراهيم وتمت محاكمتهم بمحكمة معسكر. رغم ذلك استمرت مشاركة المجاهد في العديد من العمليات المختلفة، حيث قاد كمين "الزرزور الأول" في نوفمبر 1955 بين أربوات والأبيض سيدي الشيخ والذي استهدف حافلة ركاب قادمة من البيض نحو الأبيض سيدي الشيخ، وفي ديسمبر 1955 قاد ابراهيم كمين "مطي" أين تمت مهاجمة سيارة كان على متنها ملازم وجندي فرنسيين وقد استولى ابراهيم على مسدس الملازم وقتله به.

في جانفي 1956، قاد المجاهد أيضا كمين "الكريعة" بأربوات، وقد استهدف حينها حافلة كان على متنها الآباء البيض حيث رفض ابراهيم قتل هؤلاء باعتبار أن الثورة كانت موجهة ضد الاستعمار وأتباعه فقط، وقد أحدث هذا الموقف اختلافا بينه وبين القادة الآخرين. لقد تمت تلك العمليات بنجاح حيث ساهم فيها مجموعة من المجاهدين ممن أشرف المجاهد على تجنيدهم شخصيا أمثال ابراهيمي بلقاسم المدعو "الجذوب الصغير" من عرش" أولاد مومن" والذي التحق بالثورة سنة 1956 وشارك في معارك عديدة كمعركة الشوابير، والمجاهد طيبي الحاج من عرش أولاد سيدي الحاج بن عامر.

في ربيع 1956 أرسل عبد الحفيظ بوصوف كتيبة من خيرة المجندين إلى القسم "15" بقيادة موسى بن أحمد المدعو "سي مراد" رفقة مولاي الطاهر المدعو "عبد الله"، وبنواحي بوسمغون أين اجتمع بوشريط، العماري ومولاي إبراهيم حصل العماري على "38" جنديا وبوشريط على "31" أما المجاهد ابراهيم حصل على "30"جنديا ليصبح له في المجموع "90" جنديا، كما حصل على عشر بنادق حرب. في تلك المرحلة التقى ابراهيم لأول مرة بقايد أحمد المدعو "سي سليمان" الذي جاء كمراقب مدني وعسكري والذي سلم رسالة عبد الحفيظ بوصوف التي تنص على تغيير الأسماء حيث لقب العماري بالمقراني وسمي بوشريط بسي لحسن وحصل إبراهيم على اسم عبد الوهاب.

لقد تولى عبد الوهاب في هذه المرحلة الكتيبة الثانية من مجموع أربع كتائب مشكلة للقسم "15" وهي تمتد من أربوات حتى بوعلام، حيث كانت الكتيبة الأولى بقيادة يوسفي بوشريط، والثالثة بقيادة العماري أما الرابعة بقيادة أحمد زرزي.

مع أواخر شهر جوان 1956 قاد عبد الوهاب كمين "الزرزور الثاني" حيث قضي على "28" جندي فرنسي وغنم وجنوده "28" قطعة سلاح منها "18" بندقية من نوع "MAS 36"، واستشهد له جندي يدعى"لخضر من وادي تافنة، كما جرح آخر يدعى "بوعافية". وفي كمين "الخضرة" في 21 أكتوبر 1956 قدرت خسائر الفرنسيين ب"75" جنديا وغنم المجاهدون بقيادة عبد الوهاب "30" قطعة سلاح.

وفي مبادرة لجمع السلاح اتصل عبد الوهاب بمجموعة من الشعانبة- نواحي متليلي- خاصة المدعو محمد روان وسليمان بن لمشرح وبلغيث محمد، حيث اشترى حوالي "20" بندقية من نوع استاي- إيطالية الصنع-، وفي شهر أفريل 1955م قام إبراهيم برحلة لتأمين السلاح حصل خلالها على "20" بندقية حرب و"1200" خرطوشة، إلى جانب ذلك كان عبد الوهاب مكلفا بجمع الأشخاص الذين يملكون أسلحة وتجهيزهم عند الحاجة، وحتى جوان 1956 جمع المجاهد حوالي مليوني سنتيما من أولاد مومن وأعراش أخرى.

في أكتوبر 1956 توجت المجهودات العسكرية في القسم "15" بمعركة "الشوابير" الشهيرة- جبل عمور- والتي تحدثت عنها الجرائد الفرنسية [6] وشاركت فيها فيالق المشاة ذات المحرك- RIM 110-، وكان الهدف من هذه المعركة تحقيق هدفين أساسين، الأول فك الحصار على منطقة البيض ومد الثورة بأفلو، والثاني الهجوم على مدينة أفلو وإطلاق سراح المعتقلين السياسيين- حوالي 400 معتقلا-. لقد حدث ذلك عندما استأنفت القوات الفرنسية في 2 اكتوبر 1956 عملية تمشيط بجبل عمور، وقد كانت خطة أفراد جيش التحرير أن تتم عملية التفاف على القافلة العسكرية الفرنسية، لكن الخطة لم تكتمل بسبب توقف جزء من القافلة عند الكتيبة التي يقودها عبد الوهاب فباشرت بإطلاق النار.

ويذكر عبد الوهاب أنه شارك في معركة "الشوابير" حوالي "60" شاحنة من نوع "GMS"، وعن نتائج المعركة يشير إلى مقتل "1385 "من الفرنسيين، فحين قلصت المصادر الفرنسية من خسائر الفرنسيين في هذه المواجهة، حيث ذكرت جريدة "صدى وهران" حينها

أن عدد القتلى الفرنسيين لم يتعد "38" قتيلا، و"35 جريحا"، بينما قدرت عدد القتلى في صفوف جيش التحرير ب "24" قتيلا.

بعد عودة مولاي ابراهيم من المعركة نصب له كمين آخر استشهد له فيه حوالي سبعة مجاهدين رغم ذلك غنم حوالي "40" قطعة سلاح[7]، ليتجه المجاهد بعدها نحو جبل "بونقطة" أين أشرف على كتيبة تضم "176" "جنديا.

بعد معركة "الشوابير" عرفت منطقة البيض جملة من الأحداث التي وضعت الثورة وقادتها أمام تحديات حقيقية، ويتعلق الأمر بالظروف الغامضة التي استشهد فيها يوسفي بوشريط لذلك طلب المقراني عقد جلسة هدفها التحقيق في ظروف الوفاة، حيث استعان عبد الوهاب بكبير عرش أولاد سيدي الحاج بن عامر "الحاج محمد بن الدين" ووقع الاثنان رفقة سي عبد العالي على منشور لتهدئة النفوس يتضمن تقريرا مفاده أن بوشريط توفي خطأ بواسطة بندقيته، غير أن لطفي – قائد الولاية الخامسة– لم يقتنع وطلب بتقرير آخر، ويبدو أن أصابع الاتهام طالت أطرافا عديدة حتى أن عبد الوهاب قال حينها: "لقد بلغت الشكوك درجة أنني أشك حتى في الموقعين على منشور تهدئة النفوس" [8]. من جهتها شكلت مسألة تمرد العماري جانبا من الأزمة التي عرفتها المنطقة، حيث يذكر المجاهد طيبي الحاج أن العماري كان متواجدا بكاف الطير– قرب أفلو– أين شارك نور البشير في محاصرته وانتهت المسألة بدخول العماري إلى المغرب من أجل محاكمته[9].

في جانفي 1957 تولى لطفي مسؤولية المنطقة الثامنة وقد شكلت البيض الناحية الثالثة في التقسيم الجديد مسؤولها "سي مراد" برتبة ملازم أول، نور البشير كمسؤول سياسي وعبد الوهاب مسؤول الاتصالات والأخبار والتموين برتبة ملازم، ورغم بساطة ثقافة عبد الوهاب لكن الرجل ترك لا محالة أثرا بليغا في منطقة نشاطه حتى لدى الأجانب، ففي هذه الفترة التقى المجاهد الدكتور"زوغ" وهو صحفي أمريكي من أصل نمساوي عاش مع أفراد ج. ت. ولمدة ستة أشهر، وقد سأل الصحفي عبد الوهاب عن أمور كثيرة تتعلق بالثورة في الناحية الثالثة، حيث سأله ذات يوم عن الفرق بين الجندي "الفلاقي" والجندي الفرنسي في محاولة لفهم مضمون الثورة، وقد أجاب عبد الوهاب حينها: "أن الجندي الجزائري يسعى إلى تحرير بلاده أو الموت، أما الجندي الفرنسي يريد الجزائر والحياة معا".

بعد مغادرة سي مراد للناحية الثالثة تولى عبد الوهاب مسؤولية هذه الناحية برتبة ملازم أول بعد رفض نور البشير هذه المسؤولية كونه عسكري، وقد استكمل المجاهد التنظيمات التي نص عليها مؤتمر "الصومام"، حيث عين نوابه: (نور البشير، عبد القادر بن جلول)، وعين مسؤولي الأقسام: (بن شهرة الحبيب، محبوبي عامر..)، ورغم الظروف الصعبة نجح عبد الوهاب في تولي مسؤوليات التنظيم وتأمين السلاح والإشراف على عدد من العمليات كان أهمها كمين "الخنيقات" وكمين "القرمي" في فيفري 1957 ومعركة جبل "بودرقة"، كما نصب المجاهدون بقيادة عبد الوهاب كمينا للقوات الفرنسية بنواحي أربوات وكان ذلك كمين "القليتة" في أفريل 1957. ولما كانت الناحية الثالثة منطقة عبور إلى المغرب، استقبل عبد الوهاب في جوان 1957 حوالي "300" طالبا جاءوا من الشرق الجزائري ومنطقة القبائل، تركوا مقاعد الدراسة والتحقوا بالثورة، ولم يتأخر عبد الوهاب في تقديم المساعدة لهؤلاء لدخول المغرب وكان حينها بجبل "بونقطة". وعند عودتهم تتبعتهم القوات الفرنسية مع بداية 1958 فالتحقوا مجددا بالمجاهد عبد الوهاب بجبل "تامدة".

لقد انتعشت العمليات العسكرية بالناحية الثالثة خلال فترة قيادة عبد الوهاب، حيث كان كمين "الصفيصفة" في أوت 1957 في الطريق الرابط بين البيض وبوعلام، ومعركة "الخناق الأخضر" في اكتوبر 1957، هذا وقد شارك عبد الوهاب في الهجوم الأكبر في 31- ديسمبر 1957 والذي استهدف مناطق عديدة مثل أربوات، البيض، بوعلام وبريزينة بقيادة عبد الوهاب.

لم يكتف عبد الوهاب بهذا الدور العسكري وعمد بحكم مسؤولياته إلى تدعيم الكثير من المناطق المجاورة خاصة المنطقة "التاسعة"، فمنذ القضاء على قائد الولاية السادسة "علي ملاح" أواخر مارس 1957 اضطر عمر إدريس لطلب الانضمام للولاية الخامسة[10]، ومع بداية شهر جوان 1957 عاد عمر إدريس وفرحات حميدة من المغرب، وكان الأول يحمل رسالة اعتماد من لطفي إلى مسؤول الناحية الثالثة "مولاي ابراهيم" طالبا منه المساعدة العسكرية من أجل إنشاء المنطقة التاسعة، لذلك قام عبد الوهاب بتكوين كتيبة مكونة من "125" جنديا على رأسها المدعو "غريسي" ولم تكن تلك بالمبادرة الجديدة، فقد كانت للمنطقة تقاليد في مساندة المناطق المجاورة خاصة السادسة والسابعة.

*قيادته للمنطقة الثالثة(1958-1962): لقد سبق لمولاي ابراهيم وأن اتجه للمغرب من أجل تأمين السلاح وخاصة أن المجاهد كان قد فقد معظم سلاح الناحية الثالثة حين خصص جزءا منه للمنطقة السادسة والمنطقة السابعة، وقد اصطحب معه في هذه الرحلة "18" من الأسرى الفرنسيين، وعند وصوله "وجدة" لم يلتق قائد المنطقة الخامسة مباشرة وكان التعامل يتم عن طريق قايد احمد، أما السلاح الذي سيستلمه فهو في الأصل السلاح الذي خزنه صادق دهيليس من أجل الولاية الرابعة.

وصل عبد الوهاب منطقة "فقيق" إلى أن و صله السلاح وبرقية من طرف بومدين- قائد الولاية الخامسة- ترقيه قائد نيابة المنطقة- ب- برتبة ملازم ثاني في كل من البيض وأفلو بعد تقسيم المنطقة الثامنة التي ضمت أيضا نيابة المنطقة -أ- يقودها عبد الغني وعلالي قويدر، وفي طريق العودة دائما وبجبل "بوعمود" قام الجيش الفرنسي وموسى طراوري- كان ملازما في الكتيبة السنغالية- بمحاصرة عبد الوهاب وجنوده لمدة ثلاثة أيام، وعند وصوله أمر جنوده الالتحاق بجبل "الحيمر" من أجل تقسيم السلاح الذي أحضره من المغرب.

لقد شكلت كل من البيض وأفلو المنطقة الثالثة بقيادة مولاي ابراهيم يساعده نواب برتبة ملازم ثاني حيث تولى قندوز عبد الله المدعو "بوخشبة" مسؤولية الأخبار والاتصال، وكان محمد بن الدين المدعو "الأغواطي" مسؤول التموين، وديداني أحمد مسؤول عسكري وعبد القادر بن جلول مسؤول سياسي، ولما كانت قيادة الولاية الخامسة بعيدة عن ميدان المعركة في وقت اشتد فيه النشاط العسكري الفرنسي والمشاريع الفرنسية خاصة سياسة "فصل الصحراء" و"سلم الشجعان" ضمن منطقة العمليات الجنوبية-ZSO-، كان لزاما على المنطقة الثالثة اتخاذ قرارات استعجالية أين تمت الكثير من الاجتماعات كاجتماع جبل "الكراكدة" الذي ضم حوالي "52" مشاركا من مسؤولي النواحي ونوابهم وقادة الكتائب ونوابهم، وقد تم في هذا الاجتماع تنصيب المنطقة الثالثة التي ضمت أربع نواحي قبل انضمام ناحيتين جديدتين، ثم جاء اجتماع جبل "أكسال" مكملا لاجتماع جبل "الكراكدة"، وقد نص على ضرورة تكثيف الهجومات العسكرية وتوزيع السلاح المعلن عنه في الكراكدة، وبقي الاجتماع شبه مفتوح حتى انعقاد اجتماع جبل "الحيمر" المنعقد في 17 أكتوبر 1958م، والذي ضم "700"مشاركا، وكان اجتماعا تقييميا للاجتماعين السابقين، كما تم تعيين قيادة القسم الخاص بالبيض مكلفة بالتنظيم والفداء.

لقد شهدت المنطقة الثالثة جملة من العمليات العسكرية على عهد عبد الوهاب أين قدر عدد الجنود حينها حوالي"650" مجاهدا متواجدين بين منطقة أفلو والبيض مسلحين بسلاح أكثره فرنسي، وخاصة أن الإدارة الاستعمارية أدرجت المنطقة الثالثة ضمن مشروع تمشيط الولاية الخامسة، حيث ذكر الجنرال "شال" أنه أنشأ منطقة عمليات استمرت منذ شهر ماي حتى أكتوبر 1959، وقد أشرف على تنفيذها في المنطقة الثالثة الجنرال"جيل". كما ساهمت "مغاوير البحرية" في دعم المجهود العسكري بمنطقة البيض، إضافة إلى عملية "بروميتي" التي وظفت "مغاوير المطاردة" خاصة ما عرف بمغاوير"جيورج" ومغاوير " كبرى"[11]، رغم ذلك اعترف الجنرال "شال" قائلا: "بالأطلس الصحراوي لم نتمكن من مواصلة نفس أهدافنا على الأقل في الوقت الحاضر".

من جهة ثانية ساهم عبد الوهاب مع بداية 1958 في التغييرات التنظيمية داخل وحدات جيش التحرير الوطني، حيث أشرف عبد الوهاب على تشكيل "كومندو" المنطقة الثالثة من أجل التصدي للعمليات العسكرية التي شنتها "مغاوير المطاردة"، وضم هذا الكومندوس حوالي "99" شخصا لا يتعدى سنهم 24 سنة على رأسهم مول الخلوة بوعلام المدعو "بلمهيدي"، وقد أطلقت فرنسا على هذا الكومندو اسم "الشيطان الأحمر" نظرا لقوته وصعوبة الظفر به. ولقد حرص عبد الوهاب على سلامة الكومندو الذي حقق نجاحا عسكريا معتبرا من خلال كمين "عين القصور" في 9 جانفي 1959م، وكمين "القليتة" في 21 ماي 1959م، إذ صرح الجنرال الفرنسي "جينستي" الذي أشرف على تنفيذ ما سمي بقطاع عمليات "القصور" ضمن عمليات بروميتي وانطلاقا من مقره الرئيسي من مشرية أنه: "من الضروري القضاء على كتائب كومندو المنطقة الثالثة حتى تستطيع فرنسا تحقيق النصر"، وفعلا تم القضاء على هذا الكومندو في معركة جبل "بونقطة" في أوت 1961 أين استشهد "45" مجاهدا ونجى حوالي"11" منهم.

كما كان للمجاهد الدور المهم باعتباره قائد المنطقة الثالثة في مواجهة مشروع "فصل الصحراء" وتنظيم الثورة بالعرق، ويذكر عبد الوهاب أنه بعد سماعه باجتماع "زلفانة" قرر اتخاذ موقف بشأن فصل الصحراء، وخاصة أنه كان يعتبر نفسه مسؤولا روحيا عن سكان الصحراء من الشعانبة والتوارق، حيث تولى المهمة في هذه المناطق المجاهد حناني علي يساعده كل من برزوق عبد القادر ودين الدية المدعو "الإسكندر"، وقد بذلوا جهودا لتركيز الثورة بمناطق العرق، كما ذكر عبد الوهاب أن مبادرة إنشاء "كومندوس الموت" بالصحراء كانت

ذاتية من أجل إفشال مشروع فصل الصحراء، وكان يتشكل حينها من "28" مجاهدا كلهم من سكان الجنوب. وبعد تعميم النظام بنواحي تيمون عاد عبد الوهاب إلى مركز قيادته بعد أن ضم غرداية، المنيعة ومتليلي إلى المنطقة الثالثة بعد الفراغ السياسي والعسكري الذي عرفته تلك المناطق، وقد ذكر عبد الوهاب أن ضم المناطق المذكورة جاء انطلاقا من طلب سكانها، لذلك قررت قيادة أركان القاعدة الغربية في 1 جويلية 1959م إلحاق البلديات المذكورة والأعراش التابعة لها، وقد كلف عبد الوهاب الملازم الثاني جبريط محمد المدعو "مصدق" بهذه المهمة في خريف 1959.

لقد كانت المنطقة الثالثة بحاجة إلى إنشاء بعض المصالح الجديدة مع تداعيات المشاريع الفرنسية خاصة "فصل الصحراء" و"سلم الشجعان" لذلك تم إنشاء ما عرف بلجان التطهير العسكرية، والتي اعتبرها مولاي ابراهيم شكلا من أشكال المعالجة العسكرية من أجل القضاء على فكرتي "سلم الشجعان" و"فصل الصحراء"، حيث وبعد قدوم لجنة الأمن والتحقيق ضد التجسس-CSICE- بقيادة يوسف الخطيب تم تدشين أول إعدام في حق المسؤول السياسي للمنطقة الثالثة وقائدها بالنيابة عبد القادر بن جلول المدعو "خير الدين"، وكانت تهمته التعاون مع فرنسا، ويبدو أنه تم إقناع عبد الوهاب بوجود مؤامرة في صفوف جنوده حيث تم استدعاءه من صحراء برزينة، ويذكر المجاهد أحمد عبد الوارث المدعو "البلاندي" أنه بعد التحاق عبد الوهاب تمت تصفية عدد من الجنود [12].

*مولاي إبراهيم بعد الاستقلال: لقد استمرت مساهمة عبد الوهاب عبر مختلف مراحل البناء السياسي للجزائر، حيث شارك في مؤتمر "طرابلس"(28ماي-7جوان 1962) الذي تحددت فيه الاختيارات السياسية والاقتصادية للجزائر، رغم وجود تيارين مختلفين، الأول يقوده بن يوسف بن خدة، والثاني بقيادة هواري بومدين، وكان عبد الوهاب من مؤيدي التيار الأخير وجاءت مشاركته بصفته عضو مجلس الولاية الخامسة. وفي تدخله دعى عبد الوهاب أن تعطى الأهمية للجنوب الجزائري، كما عاش هذا الأخير جانبا من الأزمة والتناقضات التي شهدها مؤتمر "طرابلس" في قاعة المناقشة أو داخل أروقة فندق "المهري" بطرابلس الليبية، لذلك حاول تقريب وجهات النظر بين المتخاصمين، لكن بعد انسحاب رئيس الحكومة المؤقتة- بن يوسف بن خدة- ليلة السادس من شهر جوان كان عبد الوهاب من الموقعين على محضر إدانة بن خدة والبالغ عددهم آنذاك"39"، كما كان عبد الوهاب من الحاضرين في تلمسان

والبالغ عددهم"52"، حيث اعتبرت "جماعة تلمسان" أن أعمال مؤتمر "طرابلس" لم تكتمل وحملت أعضاء الحكومة المؤقتة الذين غادروا طرابلس مسؤولية الأزمة.

وخلال أزمة صائفة 1962، قام أحمد بن بلة بتعيين عبد الوهاب رفقة عمار أوعمران وجلول ملايكة من أجل التفاوض مع الولاية الرابعة، حيث بادرت هذه الأخيرة بعد الإعلان عن المكتب السياسي في جويلية 1962 بدفع قواتها لاحتلال العاصمة وإعلانها مدينة مفتوحة للأطراف المتنازعة، إذ طالب أعضاء الولاية الرابعة بزيادة عدد أعضاء المكتب السياسي ليصبح "11" عضوا مع تعيين بن يوسف بن خدة أمينا له، وبعد نهاية الاجتماع عاد عبد الوهاب إلى تلمسان أين استأنفت المفاوضات.

إن المهام التي تولاها عبد الوهاب بعد الاستقلال تندرج ضمن سياسة تأكيد سيادة الحزب على الدولة، وكان عبد الوهاب ضمن قائمة المرشحين التي قدمها المكتب السياسي لانتخابات المجلس الوطني التأسيسي في 20 سبتمبر 1962م، حيث ترشح ضمن دائرة سعيدة، كما شارك مولاي إبراهيم فيما عرف بمجموعة "40" برئاسة قاضي محمد بهدف النهوض بالتنمية الوطنية.
من جهة أخرى، كان عبد الوهاب أحد الأعضاء الإضافيين ضمن اللجنة المركزية رفقة عدلاني عمار، زعوم علي والسعيد عبادو حيث كانت اللجنة المركزية إحدى الهياكل المركزية لجبهة التحرير الوطني إلى جانب المكتب السياسي.

أثناء أحداث 19 جوان 1965م كان عبد الوهاب بالبيض، ولما كان المجاهد من المؤيدين لنظام بن بلة تم اعتقاله ليوم واحد بعد الإطاحة بنظام بن بلة ثم سجن مرة أخرى بسعيدة رفقة علي عيدوني ومولاي حميدة ليطلق سراحه لاحقا.

بعد الإعلان عن قيام مجلس الثورة، وردت عن نواب المجلس الوطني برقية تأييد، وكان عبد الوهاب واحدا منهم، هذا التأييد جعل بعض المؤرخين يصفون حركة 19 جوان بالتصحيح الثوري انطلاقا من تصويت الأغلبية. وفيما يخص مواقف عبد الوهاب اتجاه سياسة بومدين فيبدو أن رفضه لهذه السياسة تجسد خلال مراحل مختلفة وخاصة ما تعلق بالثورة الزراعية وكان قايد أحمد-عضو مجلس الثورة- كذلك من معارضي الثورة الزراعية و"سياسة الأرض لمن يخدمها" ويبدو أيضا أن مولاي إبراهيم تأثر بموقف هذا الأخير وخاصة أنه كان يتردد عليه بتيارت رفقة علي عيدوني، إذ يعتبر مولاي ابراهيم أن إنشاء القرى الاشتراكية لم يكن وفق

تخطيط سليم حيث أهدرت أموال حسب رأيه دون جدوى، لذلك سمى تلك المرحلة بمرحلة "الانتحار الاقتصادي".

*استقالته من حزب جبهة التحرير الوطني: لقد ارتبط عبد الوهاب ارتباطا وثيقا بحزب جبهة التحرير الوطني، غير أن التطورات الأخيرة حملته على الانسحاب من الحزب وتقديم استقالته.

وذلك منذ اجتماع أعضاء ومنسقي اتحاديات حزب جبهة التحرير الوطني بالجزائر العاصمة أين يقول أنه حيكت ضده المؤامرات، كما دخل الحزب في مرحلة جديدة من إعادة التنظيم تولاها قايد أحمد منذ ديسمبر 1967 إلى غاية 1969، الأمر الذي جعل عبد الوهاب يتوجه إليه رفقة عفان-محافظ حزب جبهة التحرير بتلمسان-، وسي الناصر ومحمد بكاي - محافظ جبهة التحرير بسيدي بلعباس- وحبيبي ميلود قصد الاستفسار عن الوضع الجديد الذي آل إليه الحزب، وخاصة أن قايد احمد سبق وأن عين مراقبين لمهام المحافظين الوطنيين. بعد تلك الزيارة اتصل قايد احمد ببومدين وأخبره أن المحافظين الوطنيين يحاربون المناورة، لذلك اتصل علاهم عبد المجيد- مسؤول بروتوكول الرئاسة- بعبد الوهاب يطلب منه الحضور، عند وصوله سأله بومدين عن حقيقة الوضع الأمر الذي دفع المجاهد إلى إعلان استقالته سنة 1969 والابتعاد عن الحياة السياسية ليقضي فترة من الزمن ببشار ويعود بعدها إلى البيض.

*وفاته: لقد ظل المجاهد عبد الوهاب رغم تقدمه في السن يحافظ على بنية مورفولوجية جيدة، كما ظلت صرامته وشخصيته القوية تلازمه في حياته اليومية مع أفراد عائلته ومحيطه، رغم ذلك تراجعت ظروفه الصحية في الفترة الأخيرة من حياته، حيث خضع مرات عديدة لعمليات جراحية وكان ينتقل إلى مدينة وهران والجزائر العاصمة للعلاج، وفي آخر مرة اشتد المرض بعبد الوهاب نقل إلى مستشفى عين النعجة بالجزائر العاصمة أين توفي في 10 جوان 2010م عن عمر يناهز خمسة وثمانين سنة، لينقل جثمانه إلى البيض أين وري التراب بمقبرة أولاد الحاج بن عامر بحضور شخصيات تاريخية وسياسية، فرحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جنانه، المجد والخلود لشهدائنا الأبرار.

الخاتمة: إن الحديث عن المجاهد عبد الوهاب هو حديث عن مناضل استلهم الروح الوطنية من بيئته وقبيلته- أولاد سيدي الحاج بن عامر-، حيث استفادت الثورة من التلاحم القبلي في منطقة البيض، فقد ظلت القبيلة على الدوام كما ذكر "ابن خلدون" الجماعة السياسية الأساسية في البادية.

كما أن تجربة الكفاح لدى عبد الوهاب لا تخلو من الإنجازات العسكرية الفذة، لكنها أيضا لم تفلت من الخطأ، فهو رجل مجتهد معرض للنجاح والإخفاق معا بحكم تأثير العوامل الإنسانية والظرفية.

الهوامش:

1- بلهاشمي بن بكار، مجموع النسب والحسب والتاريخ والفضائل والأدب، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، 1961.

2- خلادي بلهادي، النشاط السياسي والعسكري في منطقة البيض(1945-1962)، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة بشار، 2006- 2007، ص 33.

3- عباس محمد، مع المجاهد الرائد إبراهيم مولاي، التصدي لمؤامرة فصل الصحراء، جريدة الشروق، العدد 1764، 14 أوت 2006، ص 15.

4- باقي بوعلام، شهادة تاريخية شفوية مسجلة، أجريت المقابلة بمقر إقامته بوهران، 25 أكتوبر 2008.

5- فحين شكلت منطقة أفلو القسم 16، مشرية وعين الصفراء القسم 17 أما بشار شكلت القسم .13

6- Echo(L) d'Oran N°,30660 ,04OCTOBRE .1956

7- مولاي إبراهيم، شهادة تاريخية، حققها الزوبير بوشلاغم، مصلحة التراث التاريخي والثقافي، مديرية المجاهدين، البيض.

8- شهادة تاريخية شفوية مسجلة للمجاهد مولاي ابراهيم، أجريت المقابلة بمقر إقامته بالبيض، 12- 13 أوت 2008.

9- طيبي الحاج، شهادة تاريخية شفوية مسجلة، أجريت المقابلة بمقر إقامته بالبيض، 30 مارس 2010.

10- بن عمر مصطفى، الطريق الشاق إلى الحرية، دار هومة للطباعة، الجزائر، 2007، ص 116.

11- تضم مغاوير "جيورج" الملتحقين القدماء بالجيش الفرنسي من الجزائريين، تولى قيادته في أوت 1959 الكابتان GeorgeGrillot، أما مغاوير "كبرى" فقد كانت ضمن مغاوير المطاردة الخاصة ببيجار بسعيدة.

12- عبد الوارث أحمد المدعو "البلاندي"، شهادة تاريخية شفوية مسجلة، أجريت المقابلة بمقر إقامته بالبيض،20 جويلية، 2009.